

٤ - عمرو بن العاص

بقلم حسين مؤنس
تمة

وانتظمت جيوش معاوية وأخذت سبيلها الى الشام لتتار
لهنّان الشهيد ... ولم يمد في نفس أحد منهم شك في أن عليا
هو قاتل عثمان ... وأن حربه والانتقام منه فرض واجب على
المسلم الصادق الأمين ، ومضى معاوية وعمرو على حصانتهما يتحدّثان
في الطريق وإن معاوية ليحس خطر هذا الرجل الصامت الى
جانبه ... إنه ليعجب من هذا العقل الكبير الذي لا يقصر عن
قاية ولا يعجز عن أمر ... وإنه ليخشاه ويرى سلطانه مهددا
بوجوده ... ولكنه يحتاج اليه ولا يكاد يستغنى عنه في هذه
الملحمة المقبلة ... ولم يكن عمرو ليفكر في غير ذلك ! ولكنه لم
يكن منصرفا اليه هذا الانصراف كله ... فهو يعرف حاجة معاوية
اليه ولا يخشى منه أمراً ... بل هو يفكر في أمر آخر ، إنه
ليفكر في علي وقوته ... ويحسب حسابها ويسأل نفسه ، ترى
ما ذا أفضل لو انتصر علي علي وهو أمر معقول جدا ... وإن عليا
لفارس العرب وسيف الله البتار ؛ وإنه لصاحب الأيام البيض
الخوالد والغزوات الزهر الباقيات ، وإن معه لنفرا من الفرسان
الصناديد الذين يخشى منهم أي خشية .. فيهم الأشتر النخعي وفيهم
من أصحاب الرأي ابن عباس ، وإن في هؤلاء لثناء ومنعة من
القتل ... فما ترى ابن العاص فاعلا والأمر خطر والبلاء شديد ؟
وانتهت الجيوش الى ضفاف الفرات ، واقتربت من طلائع
علي وعسكرت في موضع سهل ومنعت الماء عن علي ... ويات
قوات علي عطشى حتى عيل صبرها خملت على الشاميين فأجلتهم
عن موضع الماء ... ويات الشاميون عطشى فندبوا من يسأل
عليا الماء فأجاب ! ... وتلك كانت علة الرجل التي انتهت به
الى الهزيمة في ذلك الميدان ، فكيف يثبت الطيب للخبث ،
والريق للقماسي ، والايمن للحيلة والدهاء (١) وزاد الأمر بلاء
أن عمرا أهدرك موضع الضعف من علي ، وسراه سبأ الى الاستفادة

(١) ابن تينة « الأمانة والسياسة » ج ١ ص ١٧٢

من إيمان علي وشهامته ... انظر اليه قبيل صفين ... إنه يدور
بميينه في معسكر علي ليختار الدهاء والخبثاء ويتصل بهم
ويشككهم في أمرهم ... هذا الأشعث بن قيس يتغام مع عمرو ،
وهذا أبو موسى يبدأ يشك في حق علي ... ثم تبدأ اللطاية
القوية في جيش علي نفسه فتقدم هم الناس وتفتر عزيماتهم ...
ويرون قتال أعداء علي تبعا لا طائل وراءه ، وإن عليا ليلزم
جنوده شدة لا يطيقونها ، وإنه لينبهم بالجنة دولت الغنائم
والأسلاب ؛ وهؤلاء جنود الشام عليهم النعمة ظاهرة والخير
وافر : وذلك عدل من معاوية ، وكياسة من عمرو ! ثم انظر
الى ميدان صفين : كيف تم طائفة من أصحاب علي فتكنسح
المدوا كتنساحا وتكاد تأتي على معاوية ، وكيف تتقاس طائفة
أخرى حتى تكاد تفر من الميدان ، وكيف يلقي على مقاومة من
أنصاره ومعارضة من قواده . لقد تفرروا . لقد داخل قوسهم
الشك في عدالة قضيته ؛ وإنهم ليرون ظل عثمان ماق على خلافة
على ثقيلاً رهيباً . بل وهذا الأشعث يقعد عن المضي ، وهذا الأشتر
يعض ، حتى تكاد الهزيمة تحيق بمعاوية . ويشدد الأمر بجند الشام
وينظر عمرو حواليه ، فاذا الأمر مقضى ، وإذا الهزيمة قاضية ،
فينحى على معاوية ويلومه لوماً شديداً . لقد بدا له أنه « خسر
الصفقة » وأن السوق قد أتت بنير ما كانت يقدر . إنه لتأثر
منضب يلوم معاوية ، فيشتد في لومه ، وإنه ليعتبره مسئولاً عن
الخسارة التي حاقت به ، وإنه ليصارحه برأيه ويعتكون سره
ويقول له : « يا معاوية : أحرقت قلبي بفصصك ؛ ما أرى أننا
خالقنا علياً لفضل منا عليه لا والله ، إن هي إلا الدنيا تتكالب
عليها ، وإيم الله لتقطن لي قطعة من دنيائك أو لأنا بذنك . » (١)
وإنه ليتقدم على ما أتى من انضمامه ، وقد نسي قدر علي وقوة
جنوده ؛ والآن اتضح له الحق فهو يلوم ويتهم ، ولكن ماذا
يجدى ، وإن الخطر ليقرب ، وإن جنود علي لتكاد تمس جفاء
معاوية ؛ وإنه ليركب حصانه ، ويهيب بعمرو : « الله ... الله ...
في الحرمت والنساء والبنات : هم نجبانك يا ابن العاص فقد
هلكنا » ، ولكن كيف يسرع ابن العاص إلى نجبانه ، ويطوى

(١) رواه الذهبي ، وأنا أشك في صدق الجزء الأخير من « وإيم ... »
لأنه كان قد سبق للاتين الاتفاق قبل الفروع في السل

أشد الناس لؤما وأكثرهم خبثا ... لقد وفق عمرو توفيقا عظيما ... ولم يكن توفيقه راجعا الى مهارته في الكيد وحدها ، بل الى وجود الضعاف والخونة في صفوف خصمه وحصر استفادته من هؤلاء ... هنا هو يتدخل في انتخاب مندوب على ويرضى أخيرا عن أبي موسى الأشعري لا لأنه أبه أو شيخ كما يزعم الرواة ، بل لأنه غير راض الرضى كله عن علي ... ولأنه قابل للفتنة مستعد للمساومة ؛ وهذا عمرو يخلو به ساعات طويلا يتحدث اليه في الأمر : ويتفنن في إقناعه ... وينفذ اليه من شتى السبل حتى يوفق الى تشكيلك الرجل في عدالة قضية علي ، بل الى اتهامه بمقتل عثمان ... فاذا خلص من هذا فقد أفهمه أن لعثمان أولياء يطلبون ثأره من القاتلين ... وأن الأولياء هم معاوية وعامة آل أمية ... فاذا خلص الى هذا فقد أفتح خصمه بمدالة ثورة معاوية ... ثم يسأله : فاذا ترى ؟ فيصمت الشيخ فيقول عمرو : إننا نرضى بتنازل علي ثمنا لدم عثمان ؛ فلا يرى أبو موسى حرجا في ذلك ... ويضطرب لذلك عمرو ، فقد خسر منافسه الخلافة ولم يخسر هو شيئا ... وهو إنما يرجو أن يخلع الخلافة عن علي ليصير هو ومعاوية سنوين ... ثم إنه يعرف أن أنصار علي ملتفون حوله لأنه خليفة ، فاذا زالت عنه الخلافة تفرقوا ... وقد أفصح ... بل إن أنصار علي ليتفرقون قبل خلعهم في التحكيم ... ويصبح ممسكهم فوضى ... وينفض الخوارج ويتفرقون ويحاربهم في النهروان ... كل هذا يرضى عمرا لأن فيه إضعافا للخصم ، فاذا تم الأمر ونزعت الخلافة لم يصبح لعل بعد ذلك شيء ويذهب أمره هباء

ثم يعلن الحكمان ما وصلا اليه : لقد رأينا خلع علي (١) ... لقد تارت الفتنة واضطرب الأمر وأسقط في يد علي وأنصاره ... وقد كسب عمرو كل شيء وأصبح على طاجرا عن استنهاض هم جنوده لحرب معاوية ... وقد قوى أنصار هذا الأخير بخافهم الناس وأحمد جند معاوية وقوى أمرهم واشتد ساعده بهم ، واستطاع أن يفصل عن علي بلاده جزءا جزءا حتى إذا قتل سنة ٤٠ هـ لم يكن قد بق في يده من الأمر شيء

هكذا فعل عمرو : فرق الصفوف وأشاع الفتنة وأقام هذه الغوضى التي لم يخلص الاسلام منها الى أواخر أيامه ...

(١) هذا ما تراه ولا يتل أن يكوننا أعلننا خلع علي ومعاوية لأن معاوية لم يكن خليفة فيخلع

خيامه ويلوى هاربا ، وما بعد ؟ ... إنه لينظر بعيدا ، وإنه يرى عليا متمقبا إياهم حتى يقبض عليهم في عقر دارهم ... كان هذا أمرا يخيف ابن العاص ... فانظر كيف يستنيث وكيف يحتسى بكتاب الله ... لقد عرف أن في بعض رجال علي ميلا إلى المهادة وترك القتال . فرأى الاستفادة منهم ... ثم أخذ يسأل نفسه قائلا : ترى أي شيء يجلب هؤلاء القوم في هذه اللحظة التي تنكروا فيها لكل شيء ؟ فتجيبه نفسه : كتاب الله ... فيجيبها : فلننضم منهم بكتاب الله ، ولنرفع المصاحف على الرماح ؛ فيجيب نفسه ... بل ... هو الرأي الصواب . فترفع المصاحف على الأستة ويراهما أصحاب علي ، وكأنما كانوا يتربصون فرصة يكفون فيها عن القتال فيرون في هذا حجة كافية ، ويكفون ويحتجون بكتاب الله ، ويدور على بعينه في معسكر عدوه ليرى مطلع هذه البدعة فيجد أنه عمرو . وهنا ينكشف لمعينه سرها .. إنها خدعة .. إنها حيلة ، ولكن قومه لا يسمعون . وما هي صفين تنفض ، والأشتر يؤمر بالاجوع ، وينجو معاوية ، ويحول ابن العاص المركة من حرب السيوف لحرب الفكر واللسان لكي يشل قوة علي ، ولكي يكون هو في ميدانه الصالح له . ثم انظر اليه يتدخل حتى في اختيار علي لمندوبه ... إنه ليتصل بالخونة من أنصار علي ويوعز اليهم فيرفضون عبد الله بن عباس لأنه تقي ذكي مخلص لقضية علي . ثم يرفضون الأشتر لأنه متفان في خدمة ابن أبي طالب ، ولكنهم يؤيدون الأشعري لأن عمرا يعرف أن بينه وبين علي شيئا ، وأن التناغم قد يجدي معه كثيرا ، وينفض الجميع ليلتقي في دومة الجندل

ترى فيم يفكر ابن العاص في هذه الفترة ... في مصر وأمورها ... لأنها ستعود اليه بعد قليل ... إنه يكيد لوالها الجديد قيس بن سعد بن عبادة الانصاري فيشيع في حزب علي أن قيسا قد انضم لحزب معاوية ، فيعزله علي ويضع مكانه الأشتر النحسي فيموت الأشتر مسموما عند « مسروره » بالتزامن في ٥ رجب ٣٧ ... أترى لعمرو يدأ في ذلك ؟

ثم يكون التحكيم الذي لم يرو التاريخ مثله أبدا ، والذي لم يوفق مؤرخ في روايته على أصله أبدا ، والذي يرفض العقل أن يقبله في صورته التي وصلت اليها ... ولكننا نستطيع أن نفهم منه كيف كان الناس ينظرون إلى عمرو ؛ وكيف اعتبرته الأجيال

أجل لازال في سن السبعين يفكر في غرس المال والاصابة
من ثمرة وغلته ؛ وهكذا ينبغي أن يفهمه الناس ، فان اجتهاده في
السياسة ونبوغه في الحرب كان مصدرهما شيئاً واحداً : الرغبة في
الكسب والربح .. وقد انتهت جهوده الى شيء واحد ، لا هو
الملك ولا هو الثواب .. بل ليست هي الآخرة نفسها وإنما مصر ..
أغنى ولايات الدولة وأوفرها مالا . وقد مات وخلف ألف ألف
درهم كما يقول السعدي ودورا عديدة كان يمتلكها في
مصر والشام
(تم البعث)
محمّد مؤنس

لكي يصل الى شيء واحد .. مصر .. لقد باع الحق وارثه
الفضيلة ، وسام على طائفة الدولة الاسلامية ليكسب شيئاً
واحداً ، هو مصر بخيرها وبركاتها
وانظر اليه لقد أسرع الى مصر في ستة آلاف مقاتل ، يقطع
بهم سيناء على عجل سنة ٦٣٨ هـ ، فاذا أشرف عليها فقد أرسل
يهدد محمد بن أبي بكر الصديق ليخلى بينه وبين ما يريد . ولكن
محمداً رفض ، ولم يدر أن غريمه قد باع الدنيا والآخرة بهذا الذي
يعارضه فيه ؛ والتقى الجمعان ، وفر محمد وتبمه معاوية بن حديج
وقتل في المنشة

ثم انظر صراعه مع معاوية على مصر . إن الأول ليستكثر
عليه هذا البلد الغني الطيب ، وإنه ليراه غير أهل لتلك النعمة
الوارفة . فانه لجالس ذات يوم في نفر من صحبه وفيهم عمرو فيقول :
- ما أعجب الأشياء ؟ فيجيب يزيد ابنته :
- أعجب الأشياء هذا السحاب الراكذ بين السماء
والأرض ... وقال آخر :

- حظ يناله جاهل ، وحرمان يناله نائل . وقال عمرو :
أعجب الأشياء أن المبطل يقبل الحق . فيسرع معاوية ويقول :
- بل أعجب الأشياء أن يعطى الانسان ما لا يستحق إذا
كان لا يخاف
بلى فهو أعجب الأشياء ... وهل يستحق عمرو مصر وهو
لا يخاف (الله)

ذلك رأى معاوية في عمرو ... ثم انظر الى معاوية يحترس
من عمرو في كتاب توليته فيكتب : « على ألا يتنقض شرط
طاعة ... فيمساك عمرو بالقلم ويسد لها : « على ألا تنقض طاعة
شرطاً »

وعاش عمرو بعد ذلك ما شاء الله له أن يعيش ، وأنجاه الله
من يد قاتله لكي ينعم قليلاً بالشجرة الخضراء التي خسر في
سبيلها كل شيء . وتردد بين مصر والشام كثيراً ، ليجلس الى
معاوية .. ثم ليخجل الى أولاده ، وكانت مصر قد صارت له
طعمة ، قاطن باله وترك الكفاح والجلاد ، ولكنه لم ينس
الكسب والحجارة الى آخر أيامه ؛ فانه لجالس مع معاوية يوماً إذ
سأله هذا ما بقي منك يا عمرو ؟ فيجيب : « مال أغرسه فأصيب
من ثمرة وغلته .. »

وزارة المعارف العمومية

ادارة السجلات والامتحانات

اعلان

عن بعض مقررات امتحان شهادة الدراسة الثانوية

قسم ثان لسنة ١٩٣٦

- ١ - كشف بيان ما قررت الوزارة مطالعته ودرسته
من كتاب : A Further Approach to Shakespeare
على طلبة امتحان الشهادة الثانوية قسم ثان أدبي
سنة ١٩٣٦
 - ٢ - كشفان بيان قطع المطالعة المقررة على طلبة
الستين الرابعة والخامسة وقطع المحفوظات الفرنسية المقررة
على الطلبة في جميع السنوات الدراسية سنة ١٩٣٦
 - ٣ - كشف بيان قطع المحفوظات الانجليزية المقررة
على طلبة امتحان شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان سنة ١٩٣٦
- الكشوف الموضحة بماليه أرسلت الى المدارس الثانوية
الأميرية والحرة لاتباع ما جاء بها خاصاً بامتحان شهادة
الدراسة الثانوية قسم ثان سنة ١٩٣٦
ويمكن للطلبة المتقدمين للامتحان المذكور من
الخارج هذا العام الاطلاع على هذه الكشوف باحدى
المدارس المذكورة